Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأهم ما يلفت نظر الدارس فى هذه الخطبة إيجازها ، والدقة فى اختيار ألفاظها ، والصرامة فى القوة فى عباراتها ؛ فإذا عرفنا ملابساتها أدركنا وعيه رضى الله تعالى عنه بالموقف وما يستدعيه ، وحرصه على أن يتلاءم فى خطبته مع الموقف . وذلك أنه قال هذه الخطبة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ووجه باضطراب المسلمين فى مواجهة الصدمة اضطرابا جعل الكثيرين منهم — وفيهم عمر بن الخطاب — يرفضون التسليم بهذا النبأ ويقولون إن الرسول لم يمت ، فأقبل فى حزم وكشف عن وجهه صلى الله عليه وسلم وقال . بأبى أنت وأمى طبت حيا وطبت ميتا ، وخرج إلى الصحابة فألقى فيهم خطبته المشهورة التى ارتكز فيها على القرآن الكريم ليقطع على كل شاك شبهاته ، وفيها قال : « من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت » ، ثم أخذ فى تلاوة الآيات الكريمة التى ترد عليهم شبهاتهم مثل قوله تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون » ، وقوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » ، ثم تلا قوله عز وجل : « كل نفس ذائقة الموت » ، وقوله تعالى : « كل شىء هالك إلا وجهه » ، فثاب الجميع إلى الرشد ، ورجعوا إلى الصواب(١)

كما ووجه فى الموقف نفسه ببوادر اختلاف المسلمين حول قيادة الأمة ، فقد بلغه أن الأنصار قد اجتمعوا إلى سعد بن عباده فى سقيفة بنى ساعدة يقولون : منا أمير ومن قريش أمير ، فراعه ذلك ، وخشى على الأمة من الفرقة والطمع فى الملك ، فبادر إليهم هو وجمع من الصحابة حتى يقضى على هذه الفتنة فى مهدها ، فلما انتهت بتوليه أمر المسلمين ألقى خطبته تلك .

ولا ريب فى أن مثل هذا الموقف لا يتحمل خطبة أطول من تلك ، ولا يتسع المجال لمزيد من التفصيل والإفاضة .

وإذا نظرنا فى خطبة أخرى له ، وجدناه رضى الله تعالى عنه ملتزما بمنهجه الذى رأيناه بينا ، حيث يحرص على مراعاة الموقف واستدعاءاته ، كما نرى فى إحدى خطبه الوعظية التى يقول فيها :

---

(١) المرجع السابق جـ ٢ ص ٤٤٥ وما بعدها